

المرضى وغيرهم بعد بناء مخفزة لنجد تمنع المعتدين من أهل البادية وتنزله الحكومة إلى شركة أو متحول لقاء مبلغ من المال لكانت تستفيد منه وتفيد فتشر الأمن في تلك الربوع وعساها فاعنة عن قريب وعسى أهل العنم لا يضنون علينا بما يكشف الغامض من هذه الحمايات البخارية.

فارس فياض.

مناظرة القنائي والسيرافي

من المناظرات الحسنة بأسنوها وجمال إنشائها ما جرى بين متى بن يونس القنائي وبين أبي سعيد السيرافي تقبسها من الجزء الثالث من معجم الأدباء الذي صدر مؤخراً ليطعن القراء على أفكار الفيلسوف وأفكار نحوي وما نحن نقدم قبل إيراد المناظرة مختصر ترجمة المتناظرين وناقل كلامهما ليكون القراء على بينة مما يتنوع كلامه.

أما متى بن يونس أو يونان أبو بشر وهو من أهل دير من نشأ في أسكول مرماني قرأ على قوقري وعلى روفيل وبنامين ويحيى المروزي وعلى ابن أحمد بن كريب وله تفسير من السرياني إلى العربي وإليه انتهت رئاسة المنطقين في عصره وكان نصرانياً وتوفي ببغداد يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ولحق من الكتب مقالة من مقدمات صدر بها كتاب أنالوطيقا كتاب المقاييس الشرطية وشرح كتاب إيساغوجي لفرفوروس.

وأما أبو سعيد الحسن السيرافي فيتخلص مما قاله ياقوت في معجم الأدباء أن سيراف بنيد على ساحل البحر من فارس كان أبوه مجوسياً اسمه هزاد فسماه أبوه أبو سعيد عبد الله وقال أبو حيان في كتابه الذي ألفه تقریظ أبو عمرو بن بحر وقد ذكر جماعة من الأئمة

كانوا يقدمون الجاحظ ويفضونه فقال: ومنهم ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفة بالنحو الفقه والنغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة عنى مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر له عنى زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليمانى فما جراه فيه أحد ولا سبقه إلى تمامه إنسان هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرواية صام أربعين سنة وأكثر الدهر كنه ومات ٣٦٨.

هذا أما أبو حيان التوحيدي فهو المتكلم الصوفي صاحب المصنفات ومنها كتاب البصائر والإشارات وغيرهما وكتاب المقابسات وكان إماماً في النحو والنغة والتصريف فقيهاً مؤرخاً وصفه ابن النجار أنه كان فقيراً صابراً متديناً وأنه كان صحيح العقيدة إلا أن بعض المؤرخين رموه بالكذب وقلة الدين واجهازة بالبهتان وإنه تعرض لأمر حسام والقدح في الشريعة والقول بالتعطيل قال ابن الفارس:

ولقد وقف سيدنا صاحب كافي الكفاة عنى بعض ما كان يدخله ويخفيه من سوء الاعتقاد

فطلبه ليقنته فهرب والتجأ إلى أعداءه ونفق عليهم بزخرفته وأفكه ثم عثروا منه عنى قبيح دخلته وسوء عقيدته وما يطنه من الإلحاد ويرومه في الإسلام من الفساد وما يلصقه بأعلام الصحابة من القبايح ويضيفه إلى السلف الصالح من الفضائح فطلبه الوزير المهلبى فاستتر منه ومات في الاستار.

وعده أبو الفرج ابن الجوزي في تاريخه أحد زنادقة الإسلام الثلاثة وهم الراوندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء قال وأشدهم عنى الإسلام أبو حيان لأنه هجم ولم يصرح.

قال السبكي أنه وقع على كثير من كلامه فلم يجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوي النفس مزدرياً بأهل عصره ولا يوجب هذا القدر. قلنا وما كان طلب صاحب ابن عباد لأبي حيان إلا لأن هذا وضع كتاباً سماه مثالب الوزيرين ضمنه معائب أبي الفضل بن العبد والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما ومن كتبه أيضاً الإمتاع والمؤانسة في مجتدين وكتاب الصديق والصدقة وكان موجوداً في السنة الأربعانة. وإليك الآن هذه المناظرة الغريبة.

قال أبو حيان: ذكرت لنوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى واختصرتها فقال لي اكتب هذه المناظرة على التمام فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس اليه وبين هذين الشيخين بحضرة هؤلاء الأعلام ينبغي أن يغتم سماعه وتوعى فوائده ولا يتهاون منه في شيء فكتبت:

حدثني أبو سعيد بلع من هذه القصة فأما علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة قال: لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلثمائة قال الوزير ابن الفرات للجماعة: (وفيهم الخالدي وابن الإخشيد والكندي وابن أبي بشر وابن أبي رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهرى وعلي بن عيسى بن الجراح وأبو فارس وابن رشيد وابن العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي وابن طغج من مصر والمزباني صاحب بني سامان) أريد أن يتدب منكم إنسان لمناظرة متى في حديث المنطق فإنه يقول لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناها من المنطق وملكاناه من القيام واستفدناها من واضعه على مراتبه وحدوده وأطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه. فأحجم القوم وأطرقوا فقال ابن

الفرات: والله إن فيكم لمن يفني بكلامه ومناظرته وكسر ما ذهب إليه وإني أعددكم في العنم بحاراً ولنديين وأهنة أنصاراً ولنحق وطلابه مناراً فما هذا التغامز والتلامز اللذان تجنون عنهما. فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه وقال: اعذر أيها الوزير فإن العنم المصون في الصدور غير العنم المعروض في هذا الجنس على الأسماع المصيخة والعيون الخدقة والعقول الجامدة والألباب الناقدة لأن هذا يتصحب الهية والهيئة مكسرة ويجتنب الحياة والحيا مغيبة وليس البراز في معركة غاصة كالصراع في بقعة خاصة.

فقال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك والانتصار لنفسك راجح على الجماعة بفضلك. فقال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما يأمره هجنة والاحتجاج عن رأيه إخلال إلى التقصير ونعوذ بالله من زلة القدم وإياه نسأل حسن التوفيق في الحرب والسلام ثم واجهه متى فقال: حدثني عن المنطق ما تعني به فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطؤه على سنن مرضي وعلى طريقة معروفة. قال متى: أعني به أنه آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من مقيمه وفاسد المعنى من صالحه كالميزان فيأني أعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح.

فقال له أبو سعيد: لأخطأت لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل إن كنا نبحث بالعقل هيك عرفت الراجح منت الناقص من طريق الوزن من لك بمعرفة الموزون أهو حديد أو ذهب أو شبه أو رصاص وأراك بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عددها فعلى هذا لم يتفكك الوزن الذي كان

عليه اعتمادك وفي تحقيقه كان اجتهادك إلا نفعاً يسيراً من وجه واحد وبقيت عليك
وجوه فأنت كما قال الأول:

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء.

وبعد فقد ذهب عليك شيء هاهنا ليس كل ما لدينا في الدنيا يوزن بل فيها ما يوزن
وفيهما ما يكال وفيها ما يدرع وفيها ما يمسح وفيها ما يحزر وهذا وإن كان هكذا في
الأجسام المرتبة فإنه أيضاً على ذلك في المعقولات المقروءة والإحساس ظلال العقول وهي
تحكيها بالتباعد والتقريب مع الشبه المحفوظ والمثالة الظاهرة ودع هذا إذا كان المنطق
وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بما من رسومها
وعصافها من أين ينزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه وأن يتخذوه حكماً لهم
وعليهم وقاضياً بينهم ما شهد له قبحه وما أنكره رفضوه. قال متى: إنما ينزم ذلك لأن
المنطق بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة وتصفح للنواظر السانحة والسواح
الهاجسة والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم
وكذلك ما أشبهه. قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات بالنطق ترجع
مع شعبها المختلفة وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة إنما ثمانية زال
الاختلاف وحضر الاتفاق وطنكن ليس الأمر هكذا ولقد موهت بهذا المثال ولكم عادة
في مثل هذا التسوية ولكن ندع هذا أيضاً إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا
يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف أفليس قد لزممت الحاجة إلى
معرفة اللغة. قال: نعم. قال أخطأت: قل في هذا الموضع بلى. قال متى: بل أنا أقندك مثل
هذا. قال أبو سعيد: فأنت إذا لست تدعوننا إلى علم المنطق بل إلى علم تعلم اللغة